خضراء

أمبل سبوران

ترجمة

حسن بلاسم

عدنان المبارك

الجزء الأول

مقدمة

– ما هو القول المأثور ؟ قليل من النار بلا لهب. مفهوم أن لا أحد يرغب الإصطلاء بها.
أميل سيوران

يعد أميل سيوران من كبار المفكرين الذين أخذوا بنهج القول المأثور كطرح مكثف لتأملاتهم ومواقفهم الفلسفية. وكان له معلمون كبار هنا ، في مقدمتهم ماركوس أوريليوس وباسكال ولا روشيفوكو ونيتشه وغيرهم ويخص التأثير هنا النهج المذكور والمنطلقات الفكرية والفلسفية على السواء. فرغم كبر الإختلافات بين مفكرنا الروماني وبين باسكال ونيتشه وجد هو أن هذين كانا ، الى جانب سورين كيركيغورد ، من أقرب المفكرين إليه. ومنطلق سيوران عند اللجوء الى الأقوال المأثورة هو إبتعاده عن كل أسلوب في إقناع القاريء قائم على الأدلة و البراهين والإستدلال المنطقي وغير ذلك من المعدات المعروفة. أما إذا كانت أقواله هذه قائمة على أساس المفارقة فالأمر يرجع الى موقفه الشكوكي والمشبع باليأس الوجودي إزاء الإشكاليات الأساسية كالوجود والأنا والآخر والعدم والرب. وقد يكون مردّ أخذه بنهج القول المأثور شكه العميق بالكلمة ذاتها. فقد كان هو القائل : لماذا كل صمت هو شيء مقدّس ؟ لأن الكلمة هي ، عادة ، مع إستثناء لحظات متميزة تماما ، هي تدنيس. والشيء الوحيد الذي يرفع الإنسان فوق الحيوان هو الكلمة ، إلا أنها من جهة أخرى غالبا تضعه تحت مرتبة الحيوان.

الى جانب القول المأثور تكون كل أعمال سيوران ذات نهج قائم على المقطعية أي تجنب الأخذ بنهج البحث أو الدراسة مما أبعده حقا عن التقاليد المتبعة لدى الفلاسفة الذين كان يكن لهم النفور بل الإحتقار. ومعروفة هنا كلمته عن أن

الفلاسفة يكتبون للأساتذة أما المفكرون فيكتبون لفئة الكتاب...
رغم اللهجة التعميمية التي تسود كتابات سيوران تكون كل أعماله تسجيلا بالغ الحساسية لأناه التي تخوض (معارك) الوجود ولامعناه وذلك التأرجح بين الحياة والإنتحار. والمنطلق الآخر لدى سيوران في هذا النهج هو تلك الشكوكية التي صارت عنده موقفا ثابتا ، ومن هنا رفضه لتقاليد المنطق والفلسفة ونتاجات العقلانية.
أو لم يكن هو القائل : ,, أنا شكوكي في خفارة دائمية ، إزاء عالم يقترب من نهايته ,,.
وسيوران لم توقعه هذه الشكوكية واليأس الذي يكاد يكون مطلقا في سوداوية مكدرة بل على العكس فالأسلوب هنا مليء بالمرح والسخرية. وهذا سرّ سيوران . فالسمّ الذي يأتينا بوجبات صغيرة لا يشلنا بل يقوم بمهمة التطهير. ومعروفٌ قوله المأثور " الإبتسامة هي النصر الوحيد على الحياة والموت ". وفي مقالاته القصيرة يلجأ الى النهجين : المقطعية والقول المأثورمما يقرّب أعماله من صنف المذكرات واليوميات والسبل الأخرى لطرح التجارب الداخلية. ففي اول كتاب (فرنسي) له " مخطط التفكك " يأخذ ، بتلك الصورة المبدعة والإستاذية ، بهذين المنهجين عند تناول إشكاليات الفلسفة الأساسية التي أخذت بها التقاليد الإفلاطونية ولاهوت العصر الوسيط أو التأريخانية الهيغلية. بعبارة أخرى يأخذ سيوران بضد المنهج وحتى أنه ينتقد بوذا الذي كان مسحورا به ، بسبب تعلقه بالمنهج. ويتساءل : وحتى بوذا كان معلما عاديا ، حتى تضحياته كانت خاضعة للمنهج ...

وقد يكون هذا سببا آخر لنشوء النهج السيوراني ، نهج الأقوال المأثورة والكلام المقطعي الذي أسماه بلانشو بـ(الكلام الآخر parole autre) كشكل لتفكيره اللامنهجي الذي هو في الجوهر تجارب معاشة بكل شدة وكثافة. ومن هنا يكون القول الماثور لدى سيوران شكلا من أشكال تسجيل التجربة الذاتية ، الخصوصية مع العالم والتي تصل لأكثر من مرة الى حالة الشده.
في كتاب " زوال الأفكار " تتكشف ملامح سيوران كفيلسوف للتأمل الذي لا يقود الى (تطبيب الجرح) بل الى النكأ الأعمق للواقع القائم. ويوضح بأنها طريقة تخدم (التطهير بالنسيان). ويكتب : " لايمكننا تحقيق التوازن في العالم طالما أن الوجود هو محض حالة. حينها نكون نحن على اتفاق معها أو عدم إتفاق. حينها

يكون الوجود شيئا غير قابل للخفض : هو مقاومة نلقاها ولاعلينا تبريرها وفق ذاتويتنا. إن إنعدام التوازن في العالم هوثمرة إضطراب الوعي ولذلك لا نعرف التفكير بالواقع وفق أسلوب محايد. وأيٌّ جهد نبذله يبقى الواقع محض حالة الأشياء التي نقبل بها أو لا نقبل. وكلما أصبح وعينا أكثر ذاتية تتقلص إستقلالية الوجود. أن تملك الوعي يعني أنك لست على ذات المستوى مع الوجود ,,.

أن تأريخ القول المأثور بالغ القدم ، ويسبق ، بكثير ، عصور الكتب المقدسة. ولم يكن هذا التأريخ غريبا على سيوران ، فغالبا ما يستشهد بمن سبقوه من حكماء الكلمة هذه. أكيد أنه كان عميق الإيمان بان هذا القول يمكن تشبيهه ببيت صغير لكنه ذو نوافذ واسعة. أو أن هذا القول بمثابة الحلقة الأخيرة في سلسلة طويلة من التفكير. معلوم أنه لايكشف الحقيقة كاملة إلا أن مثل هذا الكشف يعوّض عن النقص ، أو كما قيل : القول المأثور ثمين لأنه يكشف عن نصف الحقيقة ، وفي كل الاحوال تكون هذه نسبة عالية جدا ! ومن ناحية أخرى قد يكون القول المأثور مؤكدا لكن لم يكتشفه أحد قبلها. أو أنه ما يعقب حالة الشبع الفلسفي، أو كما قال أحدهم تكون الأقوال المأثورة هي نوادر الفلسفة ، أو أن الكلمة ممسكوة فيه وهي متلبسة بالجرم ! وقد يكون صحيحا الرأي بأن القول المأثور لايعتمد على كشف حقيقة جديدة بل على أسلوب طرح القديمة.

يرى أمبرتو أيكو أنه يصعب تعريف القول المأثور. فالمصطلح اليوناني القديم aphorismos ينحدر من كلمة aphoridzein التي تعني رسم الحدود او التعريف ، وبهذه الكلمة عُرفت أقوال هيبوقراطيس. ثمة تعاريف شتى إلا أن هناك عناصر مشتركة : تعبير مركز يتمثل غالبا في جملة واحدة تصاغ فيها فكرة عامة ذات طبيعة أخلاقية ، فلسفية ، نفسية أو جمالية مثلا أو مبدأ حياتي. وما يميز الصياغة هو الشكل الذي يكشف عن ذكاء لامع. أكيد أن أساس القول المأثور قريب شكليا من التعامل مع التعريف ، كما أن الوسائط البلاغية متنوعة هنا وخاصة عند إستخدام ما يسمى ضد الفرضية أو المفارقة. فهناك من يجد هذا القول ربطا للفن بالفلسفة التي تطرح السؤال والفن يجيب عليه. وكان نيقولاي برديائيف قد وصف هذا القول بأنه كون صغير micro– هو إنعكاس لآخر كبير macro– يحوي كل شيء. أما مارك توين فوجد فيه الحد الأدنى من السحر والأقصى من المعنى. وكان روبرت موزيل قد أعطى تعريفا مغايرا لهذا القول : ,, ليس هو سمكة و لا لحما. ليس مثلا epigram ولا إكتشافا. في الظاهر يفتقد الى التعامل الكلي وسهولة التذكر والخفضية كما أنه حركة من دون ثمرة ، نقطةُ عقدٍ والى آخره . ومن هنا النفور منه

". لكن الأكيد أن القول المأثورشبيه بالحياة : قصير ومتعدد المعاني ومليء بالمفارقة وضد الفرضية التي تتمثل على سبيل المثال بالقول المعروف : ,, أن تضيع مع عاقل خيرمن أن تعثر مع أحمق " أو المفارقة : ,, الشرط الأول للخلود هو الموت ". وكان جان بول Jean Paul محقا حين قال إن إيجاز الكلمة يعطينا عمق الفكرة. وكان روكيشوفو القائل بأن صفة العقول الكبيرة هي التعبير ببضع كلمات في حين أن العقول الصغيرة تستخدم كلمات كثيرة كي لا تقول شيئًا. وإذا عدنا الى سيوران يكون مرد أخذه بمسلك الأقوال المأثورة في كتابته هو النفور من الفلسفة الساعية الى المنهجية أو النظامية وتجسيد مباديء المنطق. وقد يبدو غير مقنع الكلام هنا عن الميل القوي عند سيوران الى النسك وإنسحاره بالنساك الذين يكون مبدؤهم الأول الخفض الدائم لقاعدة الحد الأدنى من مطاليب الجسد والأخذ بمبدأ الحد الأقصى في التركيز الروحي و الفكري...

لكني أجد أن التحديد الأكثر دقة لإبداع سيوران في مجال الأقوال المأثورة هو أن تكثيفها الشعري يزيد المعنى عمقا ويمنح الكلمة قوة إقناع أكبرمن أيّ تخريج نظري أو فلسفي...

الوحدة والعالم

– العالم هو لا – مكان شمولي. ولذلك أنت لاتعرف الى أين تمضي...

– نحن نفهم ما هي الوحدة حين نسمع صمت الأشياء.

– نحن نتعذب : العالم الخارجي أخذ يمتلك الكينونة ... ، نتعذب كثيرا جدا : العالم الخارجي يختفي. الألم يحييه من جديد لغرض واحد لاغير : كي يُظهر لافعليته.

– سعداءٌ جميع الذين جاءوا قبل ظهور العِلم ، فقد نالوا إمتياز مغادرة هذا العالم بسبب أول مرض أصابهم!

– الوحدة تسعدني كثيرا الى درجة أن كل لقاء يعني عملية صلب لي.

– أنا لا أقاتل العالم بل أقاتل قوة أكبر : تعبي من العالم.

– إن دوري هو قتل العالم ، ودور العالم قتلي. ونحن نتفاهم جيدا كما هي العادة بين المجرمين.

– عندما نتألم من أجل شيءٍ ما نحمل دائما ملابس الحداد وحدنا ونبكي دائما وحدنا ، وليس بسبب الأنانية بل لأن كل همّ يغذي نفسه بنفسه ، بمادته.

– السبيل الوحيد لحماية وحدتنا هو جرح الكل مع البدء بمن نحبهم.

– لو أطلقتُ بصوت مسموع هذا القلق الأصم المعذب ، لكانت حركتي شبيهة بالركوع أمام حائط المبكى. أنا أحمل الحداد منذ الولادة – الحداد على هذا العالم.

– كل هذه اللحظات حين تصمت الحياة بمقدورك أن تسمع فيها وحدتك... سواء في باريس أو في قرية بعيدة يتقهقر الزمن ويلتف على نفسه في زاوية الوعي ويصبح وحيدا مع نفسه ، مع ظلاله وأضوائه. النفس تنشطر وتصعد راعشةً الى السطح كما الغريق الذي يطفو من العمق الى السطح. حينها تعي أنه من الممكن فقدان النفس وليس بالمعنى التوراتي فقط

.الحياة هي ، ببساطة ، لامعقول ... مشروع. مسموح به و مقبول. وواجب الإنسان الوحيد هو وحدة أكبر

– ليس هناك من مكان في العالم يمكن أن يمارس فيه المرء ، مهنيا ، الإشمئزازَ من العالم.

– العذاب هو حالة الوحدة الداخلية والتي لايقدر أيّ شيء من الخارج أن يقدم العون.

– هي جريمة كبرى أن تعكر على أحدهم وحدته وتضايقه في أن يكون أناه.

– كل واحدة من أفكارنا تمحق العالم.

– في العالم لا أعرف شيئا أكثر غموضا من الماء.

– لو أن النفور وحده من العالم يسبّب القداسة ، لما عرفت كيف سأستطيع تجنب إعلاني قديسا.

– أن تتصور بلا إنقطاع ، عالما لم يتدن بعد كي يكون موجودا وحيث الشعور المسبق بالوعي الذي لا رغبة هناك في أن يكون ، حيث عند الشبع بالإحتمالية كان ممكنا إمتلاك السرور بالإكتمال السلبي لأنا تسبق هذه الأنا.

– يُكتب البقاء فقط لما أُخصِب في الوحدة أمام الله ، سواء أكان مؤمنا أو غير مؤمن.

– أسترُ النافذة وأنتظرُ. في الأساس أنا لا أنتظر أيّ شيء بل أصبح غير حاضر. أنا محرَّر ولو لبضع دقائق من اللانقاء الذي يعتم العقل ويثقله ، كما أني أجتاز الوعي المحروم من التحسس بـ" أنا " وأشعر أيضا بأني هادىء كما لو كنتُ قد إسترحتُ خارج العالم.

.الوحدة لاتعلم الإنسان كيف يكون وحيدا بل الأوحد.

– إننا نتعذب طالما نحن بحاجة الى أحد أو شيء.

– حالات الوحدة الحلوة ! أو أن القصد هو البلبلة بين السماء والأرض.

– سوية مع الضجر يظهر في العالم اللاشبع ، أما الكون فيغيّر في ظهيرة يوم العطلة ما كان قد نسجه قبلها.

– أكبر جرائم العذاب كانت تنظيم الفوضى التي أُنزِلت مرتبتها الى مرتبة العالم.

– في الميلانخوليا تنبت للإنسان أجنحة لكن ليس من أجل أن يُسَّر بالحياة بل ليكون وحيدا.

– كل رباط هو في النهاية مصدر للآلام. السعداء ، و لألف مرة هم سعداء ، حين لايكونوا بحاجة إليه. فالوحيد لا يبكي أحدا ، ولا أحد يبكيه. و من لايريد أن يتعذب ويقرض شيء في نفسه ، عليه أن يتحرر من الناس.

الأنا

– أنا ، أنا ، أنا – كم هي متعبة !

– أنا أحيا لسبب واحد فقط وهو أني بمقدوري أن أموت متى أشاء : بدون فكرة الإنتحار لقتلتُ نفسي من زمان.

– قوتي تكمن في هذا الامر : لم أجد جوابا على أي شيء.

– أنا أعرف أن كل شيء هو غير فعلي ، لكن لا أعرف كيف إثبات ذلك

– تحين اللحظة التي يجب فيها تحقيق الأفكار. أنا لا أحيا أبدا في تناقض تام مع أفكاري لكني أخشى من أنه يأتي اليوم الذي أتكيّف فيه لها وأستخلص الإستنتاجات النهائية. فأفكاري تستثنيني.

– كنت أخشى النوعية العادية ، وهكذا أصبحت في الأخير صفرا على الشمال.

– عليّ بصنع إبتسامة والتسلح بها واللجوء الى حمايتها ، عليّ أن أنفصل عن العالم بشيء ما ، وأن أقنّع جروحي ، وفي الأخير عليّ أن أتمرن على حمل القناع.

– أنا اتفق على أن أكون آخر البشر إذا كان وجودي كأنسان يعني شبههي بالآخرين.

– في زمن ما حين إعتبرت نفسي أني الإنسان الأكثر طبيعية تحت الشمس سادني الذعر ، و قضيت الشتاء كله في قراءة الكثير من كتب الطب النفساني.

– يعتمد شقائي على أني تعلمت بصورة مبكرة جدا عدم الثقة. وحتى لو كنت مؤمنا، لكان في إندفاعي صوب الله تحذيرات ما و قليل من إنعدام الصدق.

– لم أرد أبدا شيئا ومن دون الرغبة في ضده ، في الوقت نفسه أو بعدها على الفور.

– ثلاث ساعات محادثةٍ . أضعت ثلاث ساعات من الصمت.

– مهمتي أن اتعذب من أجل جميع الذين يتعذبون وهم لا يدرون . عليّ أن أدفع ضريبة عدم إدراكهم وحظهم في أنهم جاهلون كم هم غير سعيدين.

– ببساطة أنا لم أخترع شيئا. فكل ما في الأمر أني كنت سكرتيرا لأحاسيسي.

– أنا محض مصادفة . إذن لم التعامل مع كل شيء بكل هذا الجد ؟

– كي لا أسقط تحت ثقل الرهبة والخطر ، أبصقُ ، وبكل رغبة ، ما هو سبب الأولى والثاني.

– الشعور بأني لم أقل كل شيء يصطدم في كل لحظة مع آخر هو أنه ليس لدي ما أقوله.

_ أنا أكره الشباب ، جميع الذين يذكرّوني بحالات تِيهي القديمة.

– حين يقول لي أحدهم عن النخب أكون عارفا بأن أمامي أحمق.

– أنا أفضل قبرا جماعيا على جنازة تنظمها الدولة

– لست أنا من لا يصلح للعالم ، بل العالم لا يصلح لي.

– حين أخرج الى الشارع لا تخطر ببالي إلا فكرة الإبادة.

– أنا لا أتطابق مع كل إنطباعاتي. أنا عاجز عن فهم كيف أن هذا الشيء ممكن. أنا لست في وضع أفهم فيه من هو الذي يتحسسها. وبالمناسبة من هي هذه الأنا من الجمل الثلاث السابقة ؟

– لجميع الذين سيأتون بعدي أعلنُ بأني لا أعرف بأي شيء أؤمن في هذا العالم ، وأن المخرج الوحيد هو النسيان التام. أنا أرغب نسيان كل شيء ، النسيان التام ، وأنا لا أعرف أيّ شيء عن نفسي وعن هذا العالم. إن الإعتراف الحقيقي يمكن كتابته بالدموع فقط لكن لوحصل ذلك لأغرقت دموعي العالم تماما كما قد تحرقه ناري الداخلية. أنا لا أحتاج الى أيّ سند ولا تشجيع ولا تعاطف ، فرغم كوني أكثر الناس بؤسا أشعر بأني قدير وقوي ورهيب ! ولأني الإنسان الوحيد الذي يحيا بلا أمل. وهذا قمة البطولة وشدتها ومفارقتها. إنها الجنون الأعظم.

– ماذا تفعل يا سيدي من الصباح الى المساء ؟

– أتعرف على النفس.

– وما هو القول الماثور ؟

– قليل من النار بدون لهب . مفهومٌ أن لا أحد يريد أن يصطلي بها.

– أنا أشعر بأني حرّ ، لكني أعرف بأني لست حرا.

– أنا أفهم إذا قتل أحدهم نفسه ، لكن ما يغلق عليّ فهمه هو الإنتحار بسبب إحدى الهزائم أي بسبب رأي غريب. فلكل حالات الإنتحار تقريبا هذا السبب . لو بصقت البشرية جمعاء في وجهي لما إنتبهتُ بالطبع الى ذلك ولما قررت أمرا نتيجة لما فعلته.

عندهم المناخ المَرَضي. وللحفاظ على الصحة النفسية يكون الشعب بحاجة الى شقاء فعلي ، الى موضوع لأحوال القلق ، الى خوف حقيقي يبرر (عقده النفسية).
المجتمعات تتماسك أثناء الخطر و تموت أثناء الحياد. وحيث يسود السلام والسلامة الصحية ووسائل الراحة تتضاعف أمراض النفس. أنا من بلد لا يعرف السعادة ولذلك أنجبَ محللا نفسيا واحدا فقط
– بعد أن يطمّن الطغاة حاجتهم الى القسوة لأصبحوا طيبي القلوب لو لم يطالب العبيد الذين يدفعهم الحسد ، بالشيء نفسه. إن أكثرية الأحداث تثيرها رغبة الحمل في أن يصبح ذئبا. و الذين لايملكون أنيابا هم يحلمون بها ، والآن يريدون ، بدورهم ، الإفتراس ، وعموما هم يفلحون ، فعددهم بالغ الكبر.
– التقدم هو لاعد ل يرتكبه كل جيل ضد سابقه.
– كي ننتقل من الكهوف الى الصالونات كنا بحاجة الى كثير من الوقت ، وهل ستكون الحاجة كبيرة أيضا كي نقطع الدرب في الإتجاه المعاكس أم سنختصر المراحل ؟ هذه مسألة لامعنى لها عند الذين لا يتحسسون بما قبل التأريخ.

– الشعوب الخاسرة لاغيرها هي التي تقترب من المثال " الإنساني " ، فالبقية التي نجحت تحمل ميسم مجدها وقدسيتها الوحشية.
– التأريخ موكب مطلقات زائفة.
– كل حضارة تبدأ بالزراعة وتنتهي بالمفارقات.
– البلقان شيء شبيه بحريق شبّ في دار للدعارة.
– الحضارةُ تدمَّر في حالة واحدة فقط – حينَ تُدمَّر آلهتها.
– القرون الوسطى إفتدت خطيئة آدم. بفضل ذلك لاغيره كانت ممكنة ولادة الرينيسانس.
– لو أن الحيوانات كفت عن أن يخاف بعضها بعضا وسقطت في حالة جمود وإتخذت ذلك المظهر الحزين الذي يمكننا مشاهدته في حدائق الحيوان . ولكان للأفراد والشعوب المظهر نفسه لو أنه في يوم من الأيام أفلحت في أن تحيا في إنسجام و كفت عن الإرتجاف سواء الظاهر منه أو المستتر.
1 – لكلبيون اليونانيون كانوا أساتذة كل ما هو غير محلول. وعملياً لكانوا منسيين ، فعدم ثقتهم بالمعرفة تقترن بصورةَ مَنْ يطمح بمرض عضال.
– هل كل شيء محروم من المضمون الى هذه الدرجة ؟ وهل توّقف العالم عند البداية

المتحفز الى التمرد وغير الناظر الى المشهد الطبيعي والغريب في الطبيعة والمنفي وسط ذرات الثلج.

– كل إنسان هو جلاد لم يكتمل بعد .

– الإنسان يفرز الشقاء.

– حين تتوجه أفكاري دائما صوب الإنسان تغمرني الشفقة. إلا أني لا أفلح بأيّ طريقة في العثور على أثره. التمزق في الطبيعة يتطفل في التأمل.

– كل الأنواتِ تبكي. الجديد الذي جاء به الإنسان هو الدموع فقط

– حين أفكرُ بالإنسان أرى ظلالا فقط، وحين أفكر بالظلال لاأرى غير نفسي.

– ليس بمكنة الإنسان أن يختار بين الحرية والسعادة. لافمن جهة يكون العذاب و اللامنتهى ، ومن أخرى العادية والوثوق. الإنسان هو حيوان بالغ الغطرسة وساقط للغاية كي يحتقر السعادة.

– يخفي كل إنسان في داخله مجنونا يحوّل الكون ، وهو مدفوع بشعورالكرامة ، الى دار للمجانين.

– إذا أراد الإنسان أن يكون سعيدا فليس مسموحا له أن ينبش في الذاكرة.

– عندما يكره المرء أحدا يعطي الدليل على أنه جدير به ، ولا فرق جوهري بين الإثنين.

– (...) آخ ! كم يؤلمني البشر !

– الطغيان يسند الفرد أو يقوّيه : الحرية تضعفه وتجعل منه دمية. فالإنسان يملك فرصا أكبر للإنقاذ بفضل الجحيم وليس السماء.

– إذا كان الإنسان ينسى بمثل هذه السرعة أنه ملعون فالسبب هوأنه كان هكذا على الدوام.

– أن لا تملك أيّ شيء مشترك مع البشر عدا أمر واحد هو أنك إنسان !

· الإنسان ذو البصيرة النافذة والمراقب عواطفه يقيس بلا أنقطاع (حمّاه) ، وعلى الدوام يراقبها و يخضع لفروض حزنه. بالنسبة للعقل الصافي تكون المعرفة مديحا للفيزيزلوجي.

وما زاد من صعوبة الإختيار أنهم لم يحتفظوا في ذكرياتهم بشيء عن العراك ولا عن موقفهم غير الحاسم.

– اللامعقول والنهاية هما العنصران اللذان يولد من توازنهما العمق المُبهم للدين. فهو مجرد إبتسامة تعلو العبث الكوني ونسمة العبير فوق تموجات التفاهة. وحين يفتقر الدين الى أيّ حجة إحتياطية ، يلجأ الى الدموع. فهي الوحيدة التي تحافظ على توازن الكون ووجود الله أيضا. وإذا إختفت يختفي الحزن على الرب أيضا.

– في الاساس (يوجد) الله وأنا فقط ، ولربما بضعة أوهام أيضا. إلا أن صمته يرهق كلينا. ومن المحتمل جدا أن لاشيء موجود على الإطلاق.

– من دون الله كل شيء هو عدم ، لكن الله هو العد م الأعلى لاغير.

– لو شعرت بأن الحياة أتعبتني لأصبح الله الحل العملي والأخير ، لكن طالما تتبرعم فيّ أحوال اللاأمل سوف لن أتركه هادئا.

– التظليل (الضوء – الظل) chiaroscuro الهولندي بكامل سرّه الواسع ، هو غريب على الله وبعيد. فهو يقول عن الحياة كل شيء ، أما عن الله فلا يقول شيئا. من المحتمل تماما أن الشغف الرباني قد خرّب شِعر هذه الميلانخوليا ، ومن المحتمل أيضا أن الميلانخوليا منيعة على المطلق. أنت تفهم الله في أحوال الحزن الشديد واليأس والوحدة المسعورة التي لاشفاء منها ، وهذه الميلانخوليا هي إستمرارية دائمة لانهاية لها ، وضباب خفيف من دون تصحيح على عالم آخر.

– الفارق العظيم بين الله وفكرة الله هو من صنع باسكال الذي حين فصل ربَّ أيوب وإبراهيم عن رب العلماء و الفلاسفة. وينبغي إكمال الفارق بآخر بين باخ و باقي الموسيقى ، بين تيريس الآفيلية وبقية القديسين ، وبين ريلكه وبقية الشعراء.

– هل يمكن الكلام بصدق عن شيء آخر عدا الله والنفس ؟

– ياللأسف ، كي نصل الى الله علينا المرور بالإيمان !

– كل نوع من الخجل يملك طيفا spectrum دينيا. هوالخوف من عدم الإنتماء الى أحد وأن الله هو لا أحد إذا تعلق الأمر بعمله... الشكوك الميتافيزيقية تبني فينا طبيعة تنفر من المجتمع ، وتبقي فينا شوكةً. وإنعدام الشجاعة إزاء الناس – حين تظهرالقوة كإحتقار – متأت من حيوية غيرواثقة مما يخلق جوهر الحياة ، وتتجاذبها الشكوك ويعطي الإيمان الراسخ وغريزة معيّنة الحق في الجرأة التي لاتخلو من الطيش ، وحتى أنهما ملزمتان إزاءها. الخجل هو طريقة في إخفاء الشكوى في حين أن الجرأة هي محض شكل تتلبسه الشكوى.

– بعد فقدان كل وهم نملك الإنطباع بأننا كنا مرآة قامت أمامها الحياة بعمل زينتها الخصوصية. ليس هناك من طقس ديني misterium مثير لإنفعال أكبر من حب الحياة ، فهذا الحب هو الوحيد الذي يعرف كيف يدوس على جميع البيّنات evidences. وحين لاينتمي المرء الى أي شيء في العالم تبدو الحياة مطلقا. ولننظر هنا من موقع سماوي.

– اللاهوتيون يعتاشون كالطفيليات ، على المفارقات. ولكان عليهم في الماضي إلقاء السلام لو أنهم لم يستخدموه عن جهل. أما الشكوكية الدينية فتعتمد على هذا الأمر: تفعل الشيء نفسه لكن عن وعي.

– منذ الولادة لغاية الموت يكفر عن الذنب بأنه لم يكن الله. و لذلك تكون الحياة أزمة دينية مستمرة ، هي سطحية عند المؤمنين ، و مصدمة عند الشكاكين.

– الفكرة الأخيرة لكل دين : الحياة كخيبةٍ.

– النفع الوحيد من الله لايأتي إلا بعد الموت ، ولذلك لاعلينا ان نبحث عن العظمة في مكان آخر.

– المرحلة الأخيرة من الحزن : إزالة الفرق بين الدموع والأحجار. القلب يتحول الى صخر، وفي الدم تتزحلق الشياطين. رباه ، أما زال لديك مكان في الجنة ؟

– كل ما يطالب فيَّ بالحياة يأمر بأن أتخلى عن الله. والآن أيّ شيء لا يفعله الإنسان من أجل الحياة ...

– أنت مجنون لم تصب بالجنون حين تؤمن بالله . هكذا هي الحال بالضبط طالما من الممكن أن تكون مريضا ومن دون أن تصاب بأيّ مرض.

– بُعد الله عن البشر أكبر منُ بُعدهم عنه.

– الفارق بين المنظرّ الديني والمؤمن كبير كِبر الفارق بين الطبيب النفساني و المجنون.

– كان للجنة عيب واحد فقط وهو أنها لم تعرف الدموع. وبصورة ما هو عيب الله أيضا. والإنسان الذي تخلى عن الجنة يسهل عليه إمتلاك الدموع ...

– في المراتب المعاصرة يعني الزمنُ الحياةَ. وبهذه الصورة نعرف في الأخير ما هو الشيء الذي يثير في الله أكبر إشمئزاز.

– ما هو شيء ديني لايعتمد على محتواه بل على شدته. الله يظهر كبرهة حين تتغلغل فينا الرعشة. العالم الذي نحيا فيه نادرا ما يصبح موضوعا للتجارب الدينية ، ولأن بمكنتنا أن نفكر فيه في لحظات اللامبالاة فقط ومن دون (حمّى) لا نجتاز حقل التلقي ، بالأحرى لانرى حينها أيَّ شيء. العيون هي في خدمة الله منذ أن

المتداعية. والعاقبة هي أن لا أحد يريد التضحية من أجل الدفاع عنها وأن يموت تحت أول ضربة موجهة اليها. والى درجة أكبر يخص هذا الأمر الشعوب ، فهي حين تأخذ في معاملة الحياة كقدسية تكف عن الوقوف الى جانب تلك الأنظمة .

– يمكن الظن بأن المادة تحسد الحياة وتحاول متابعتها كي تكتشف نقاط ضعفها ومن ثم إنزال العقاب بها على مبتكراتها وخياناتها. فالحياة هي الحياة بفضل شيء واحد فقط: خيانة المادة.

– شيء رائع أن كل يوم يأتينا بدليل جديد على أننا نموت.

– إذا لم ترد أن يقودك السعار الى الموت عليك أن لا تعكر الهدوء على ذاكرتك. لا تنبشْ فيها.

– كل موت يشكك بكل شيء و يرغمنا على أن نبدأ ، بالحياة من جديد.

– كل شقاء مرئي من الخارج يبدو ضئيلا وغير مفهوم. وهذا البعد من أبعاد المسألة ينبغي الأخذ به إذا أراد المرء أن يتحمل الحياة.

– الفائدة الوحيدة من دفن الموتى هي أنه يمكننا آنذاك مصالحة الأعداء.

– وسائل حماية الحياة هي مضحكة إزاء الذين بمقدورهم تدميرها.

– ينبغي نبذ الحكم الإخلاقي على أيّ أحد كان. إذ لا أحد مسؤولا عن كونه من يكون ، كما أنه من غير الممكن تغيير الطبيعة الشخصية. هذا أمر واضح كالشمس والكل يعرفه . لماذا إذن التملق أو تلطيخ السمعة ؟ لأن معنى الحياة أن تقدّر وتصدر الأحكام ، فالكف عنها يتطلب ، و إذا لم يكن السبب هو الجبن ، جهدا كبيرا.

– الحياة هي ذائقة سيئة للمادة.

– الأمراض هي من أجل أن تذكرنا بأن عقدنا مع الحياة قد يكونُ ملغى في كل لحظة .

– يتكشف كامل الفلسفة الهندية في المهابة – وليس من الموت بل من الولادة.

– أن تعيش يعني أن تدخل في إتفاقات. وكل من لم يمت من الجوع هو مشبوه.

– في البحث عن الصيغة التي ترضي الجميع إختارت الطبيعة الموت.

– حين كنت استمع إليه عند كلامه عن مشاريعه للمستقبل لم أقدر على نسيان أنه سيعيش أسبوعا واحدا لاغير. أيٌّ جنون هو الكلام عن المستقبل ، عن مستقبله ! لكني حين خرجت من هناك أدركت أن الفارق ،في الأساس ، بين الكائن الفاني و المحتضر ليس بالكبير. ففي الحالة الثانية يكون العبث في وضع خطط للمستقبل هو مؤكد أكثر لكن قليلا فقط

– عند الإحتضار نصبح أسياد العالم.

أمر زوجته بأنه غير موجود في البيت وأيّ كان السائل. وبدافع الشفقة كانت الزوجة تدق الباب أحيانا ...

– تسهل الكتابة حين يكون موضوعها شيئا آخر غير نفس الكاتب ...

– كي تصبح كاتبا لا يكفي الموهبة ، ينبغي أن تعرف كيف أن لا تنسى أيَّ شيء. الكاتب الكبير هو إنسان ملؤه الإستياء.

– جيمس جويس : إنسان القرن ذو الكبرياء الأكبر. لذلك أراد بعناد ربٍّ مجنون ، وقد نجح جزئياً ، تحقيق غير الممكن. ومن هنا أيضا أنه لم يعقد أبدا إتفاقات مع القارىء كما لم يسع الى أن يكون سهل البلوغ بأيّ ثمن. لقد وصل الذروة في اللاوضوح.

– الكتاب هو إنتحار مؤجل.

– لايمكن القول لاشيء عن اللاشيء. ولذلك يمكن كتابة الكتب ، وبدون عقاب ، عن كل شيء.

– النقاد هم القوّادون في الأدب ...

– القارىء المحموم هو قاض سيء دائما. لكن المؤلف المحموم ليس بالضرورة كاتبا رديئا.

– المفروض بالكتاب أن يسبب الجروح في نفس القارىء.

– منذ قرنين ظهرت كل أصالة كنقيض للكلاسية المُحدَّثة. فكل شكل ، أو صياغة ، لم ينشأ إلا كردٍّ فعل على تلك الظاهرة. وكما يبدو لي يكون الميل الأساسي للعقل المعاصر تفتيت الإنجازات السابقة. وبمعزل عن أيّ حقل من الفن يحدث ذلك فكل أسلوب يؤكد على مواجهته ل(الأسلوب).

– لا أطيق الكتاب الذين يأخذون بأسلوب روسو Rousseau ووسموا بميسمهم الكثير من الأجيال ، وكانت أفكارهم ذات مدى لا يتناسب مع قيمتهم. هم شمس زائفة.

– الأسلوب الشعري ، فايروس النثر هذا ، يفسخه ويدمره : النثر الشعري هو نثر مريض. والأكثر من ذلك لا أصاله فيه : المجازات المستخدمة من قبل جيل تبدو مضحكة في عيون الجيل التالي. سان – آفريمون Evremond – Saint ، مونتيسكيو ، فولتير أو ستندال كما لو أنهم صاروا معاصرينا ، ولأنهم لم يرتكبوا ذنوب الشعرية ولا الفائض من الصور. النثر هو تقريري ، والمفروض بالناثر أن يتغلب على أول رد فعل ، و يدافع عن نفسه أمام إغراء الصراحة : إن كل حالات الخطأ في الوصول الى الهدف من ناحية الذائقة إنما ينتج من (القلب). إن (

– بعد شكسبير ودوستويفسكي بمقدورنا أن نكون حكماء بسببهما عثر الناس من جديد على عذابهم وبدأوا ، بعد الفراق مع الذكرى الأولى ، التباهي بفقدان الجنة .

– في فترة أفول القرون الوسطى ظهرت كتب لمؤلفين مجهولين بعنوان " فن الموت ". كان الإقبال عليها منقطع النظير. هل أن كتابا شبيها بها يحرّك اليوم مشاعر أحد ؟

– شكسبير ودوستويفسكي يُبقون في قلبك حزنا مؤلما لكونك لست قديسا ولا مجرما. فهذا هو شكلان للتدمير الذاتي.

– الشعر : آلة النرجسية التي هي في حِداد.

– أكتبْ الكتب إذا أردت فقط أن تقول فيها تلك الأشياء التي لما جرؤت على البوح بها لأحد.

– كان دوستويفسكي الإنسان الأخير الذي جهد في إنقاذ الجنة. لكنه نجح فقط في زيادة الضعف إزاء حالات السقوط ، ونتيجة لذلك أجهز نهائيا على الجنة وحنيننا إليها.

– تُتعِبني سريعا قراءة الرسائل التي يجري الكلام فيها عن النقاشات والأسئلة الميتافيزيقية فقط في كل شيء هناك حاجة الى العادية كي يمكن إمتلاك الإنطباع بالحقيقة. فلو بدأت الملائكة تكتب لكان من غير الممكن قراءتها ما عدا كتابات الملائكة الساقطين. النقاء صعب التقبل ولأنه غير متفق مع الإلهام.

· – في (الملكليير) يعرّف شكسبير الجنون كفصل للروح عن المرارة.

· – أن تقرأ وتتشرب بسيرة بعد أخرى كي تقتنع أحسن بلامعنى كل عمل ، بكل مصير.

– يرافق نشر الكتب نوعا من المشاكل شبيها بذلك النوع عند الزواج والدفن.

– قرأتُ " المركب السكران " على واحد لم يعرفها وغريب عليه الشعر. بعد القراءة علق قائلا: (يمكن الحكم بأنها من مؤلفات الدرجة الثالثة). طيّب ، لكل واحد الحق في التعبير عن رأيه .

– كتبي ، عملي ... إنه بُعدٌ غروتسكي لضمائر التملك كل شيء أصبح سيئا منذ أن كف الأدب عن أن يكون مؤلفه مجهولا. التدهور يبدأ مع أول مؤلف.

– في عام 1849 كتب سان – بيف أن الشباب يدير ظهره للمرض الرومانسي كي يحلم ، محاكيا السان – سيمونيين ، بـ" إنتصار الصناعة الذي لاحدود له ". وهذا الحلم المحقق كليا ، يسيء الى كل عمل من أعمالنا ولفكرة الأمل نفسها أيضا.

بالدموع. فالموسيقى النابعة من الحزن على الجنة ، تلد علامة هذا الأسف : الدموع.

– الجنة وحدها ، أو البحر ، بمقدورها التخلص من الموسيقى .

– بسبب موتسارت أخذتُ أحزن على غلطة آدم.

– السعادة هي وقفة ساحرة فكرتُ بها في أثناء الإستغراقات في التفكير الرعوي بموسيقى القرن الثامن عشر. أنا أعرف السعادة سماعاً فقط

– أكبر حزن أثارته فيّ الأحلام بالسعادة : بوتيتشيللي Botticelli ، كلود لورين Claude Lorrain ، موتسارت ، واتو Wattaeau ، كورو Corot . هل أنا ضعيف الإستعداد الى السعادة ؟ أو أني عرفت حسبْ الميلانخوليا التي تسبقها والأحزان التي تعقبها ؟

– القلب بلا موسيقى هو مثل الجمال بلا ميلانخوليا.

– لو إختفت الموسيقى لما إستطاعت كل الأفراح والآلام الأرضية أن تمسح الدمعة المقطرة من جوهر الموسيقى.

– باخ هو القائم الفعلي بإنتزاع الإنسان عن الأرض. في إهتزاز كل وتر من كمان أوسط viola يكمن مثل هذا القدْر من التجاوزي transcendence والذي يقترن في الذهن بصورة الثلج المنهمر.

– في باخ لا توجد " أحاسيس " بل العالم والله متحدين بواسطة سلم من الدموع التي تليها دموع أخرى.

– باخ هو كل شيء. وأيّ شيء هذا ال(كل شيء) ؟ إنه الله نفسه. ففي باخ لاشيء يمكن أن لايكون الله. ولأن الوحدانية من دون براهين موسيقية هي محض لامعقولية.

– الأرغنات و الكمانات و المزمارات تثير فينا حنينا ملؤه الغمّ الى عوالم أخرى.

– هناك شيئان يصعب مقاومتهما : موسيقى باخ و شكايات الخادمات الصغيرات عند الغروب الهادىء والصامت.

– الموسيقى الموسومة بالحلول immanence قد تكون عادية حسب، إذ تكف عن القيام بوظيفتها كأداة للنسيان. وأيّ شيء نريد نسيانه ؟ كوننا نحيا في العالم.

– الموسيقى سكبت فيّ الفائض من الجرأة إزاء الله. وهذا يبعدني عن غيبيي الشرق.

– يصعب القول أيٌّ شيء تبعثه الموسيقى فينا. أكيد أن الأمر يخص منطقة بمثل

الجزء الثاني

الوحدة .اليأس .الزمن

– أن تنبذ لذة الإحتضار اليومي الوحيد ، وتقسم عبء الوجود الى إثنين ، أن تملك شريكا في الخيبة ! فالمرأة مادة للتجارة وحتى الذي هو في جوهره شيء غير مفهوم.

نحن في الزواج نبيع جزءا من الوحدة – التجديف يتحول الى بيع وشراء. إن أصلَ الشقاء في الحب هو الخوف من أن تكون محبوبا ، فلذائذ الوحدة هي أكبر من لذائذ العناق. المرأة لاتريد الفراق ، لكنها تفعل ذلك ، فهي تشعر ، بوضوح ، أن صحو العقل يفسد اللعبة الغشاشة للشدَه المتبادل. إنها لا تفهم أبدا كيف بمكنة الرجل ممارسة الشقاء ، ولا كيف يمنعه حضورها عن إتقان عزلته. لكن عليها أن تتركه ، عليها أن تتركه. وحين تتركه نفهم أن الحياة خطأ كبير – سواء مع

المرأة أو بدونها. ولوكان بمقدورنا أن نموت من أجل العالم في ظل إمرأة ، لو كانت رائحتها نشراً للميلانخوليا وتنويما للقلب المنتزع من الأرض !

– مع التقدم في العمر ليس ما َيضعف هو قدراتنا الفكرية بل تلك القوة ، قوة اليأس التي لم نعرف تقدير سحرها ولا إضحاكها عندما كنا شبابا.

– أردتُ التواجد في الزمن إلا أنه لايصلح للسكن. وعندما توجهتُ صوب الأبدية فقدتُ التوازن.

– كان هناك زمن لم يكن فيه زمن... والإشمئزاز من الولادات ليس شيئا آخر غير الحنين الى ذلك الزمن السابق للزمن.

– هذه اللحظة إختفت الى الأبد ، ضاعت في كتلة مجهولة من الأشياء النهائية. لن تعود ابدا. أنا أعاني بسبب ذلك ولا أعاني أيضا.

– كل شيء غير متكرر لكنه محروم من الأهمية.

– أطردْ الناس من أفكارك ، ولا تدع أيَّ شيء خارجي يلوّث وحدتك ، وأتركْ للمهرجين الحرص على العثور على شبيهين بهم. الآخر يصغر من شأنك ولأنه يرغمك على لعب دور ما ، ومن حياتك أزحْ الوضعات ، وإهتم بما هو جوهري.
– كي تيأس لابد من إمتلاك شجاعة كبيرة . والفرضية المضادة هي حقيقية أيضا.

– هناك نفوس يعجز الله نفسه عن إنقاذها وحتى لو سجد وصلى من أجلها.

– يمكن الوثوق من أن الإنسان لا يحقق عمقا يقارن بالآخر الذي عرفه أثناء قرون من المحادثة الأنانية مع ربه.

– أن تتصور ، وبلا إنقطاع ، عالما لا إذلال فيه كي توجد أنت ، حيث تحس بالوعي ومن دون أن ترغب فيه ، حيث تشبع من وجود القوة potentiality ، حيث كان ممكنا السرور بالإكتمال السلبي للأنا التي هي أسبق من الأنا الأخرى.

– النفي لايولد أبدا من الفهم بل من شيء مظلم سحيق في القدم. والبراهين تظهر فيما بعد كي تبرر النفي وتدلل عليه. إن كل (لا) تنبع من الدم.

– يعطي إستخدامُ الكلمات الناسَ وهمَ الحرية. ولو أنهم فعلوا ما عليهم فعله ، صامتين لإعتبروهم من الروبوتات. وهم حين يتكلمون إنما يخدعون نفوسهم ويوهمون الآخرين : طالما هم يعلنون عما يفعلونه ألا يكون ممكنا التفكير بأنهم ليسوا سادة أفعالهم ؟

– أنا أحيا في الزيف طالما لا أتعذب ، لكن حين يبدأ العذاب أدخل مملكة الحقيقة ولغرض واحد لاغير : أن أتحسر على الزيف.

– الطغيان يكسر عود الفرد ويقوّيه أيضا ، أما الحرية فتضعفه وتعمل منه دميةً. لدى الإنسان فرصة أكبر في أن ينقذ نفسه بفضل الجمال وليس السماء.

أن لا تملك أيّ شيء مشترك مع الناس عدا كونك إنسانا !

– فيَّ كل عيوب الناس الآخرين لكن كل ما يفعلونه يبدو لي مغلقا على الفهم.
– تتحسن طبيعة الإنسان في حالة واحدة لاغير : حين يفقد الطموح أثناء مصادفة ما.

– هناك قضية واحدة لا غير – قضية الموت. والإنكباب على القضايا الأخرى إضاعة للوقت وإعطاء الدليل على طيش لا يصدّق.

– ما العمل ، في الأساس نحن جميعا في الوضع نفسه ، ولا أحد يملك الحق في أن يعتبر نفسه أكثر بعدا عن الموت من الذي يموت في هذه اللحظة.

– في الأخير نحن لا ننتحر ولأن الأسباب هي كثيرة للغاية.

– الى مثل هذا البعد يصل الموت ، ويشغل مثل هذا المكان الكبير الى درجة أني لا أعرف أين بمقدوري أن أموت.

– لا ينتحر أحد غير المتفائلين ، وحين يعجزون عن أن يكونوا متفائلين. الآخرون الذين لا يملكون أيّ أسباب للحياة لماذا عليهم أن يموتوا ؟

الشعوب .التأريخ

.ربما ليس هناك من شعب لا يفكر ممثلوه بقطع رقاب نصف عدده على الأقل.

– الروح تستغل ، الى حد بعيد ، هزائم الجسد. وهي تغتني على حسابه، وتنهبه ، وتبتهج من عذاباته ، وتعيش على السطو. الحضارت تدين بالفضل على تطورها لأفعال قاطع طريق.

– حين كانت البشرية في مطلع تأريخها تدربت على الشقاءات ولا أحد كان بمقدوره تصور انه في يوم ما سيتم إنتاجها نمطيا.

– نبقى في منطقة العموميات عندما نقول : بالأحرى أنا أميل الى هذا النظام وليس الى آخر. ولكان أكثر دقة لو قلنا : أفضلُ هذا البوليس وليس الآخر. فالتأريخ يقود ، بالأحرى ، الى تصنيف البوليس ، وعن أيّ أمر آخر يكتب المؤرخ إذا لم يكن عن الجندرمة التي أخضعت البشرية خلال قرون ؟

– في الأزمان الهادئة حين نكره ، وبدافع المتعة ، من أجل أن نكره ، علينا البحث عن أعداء مناسبين لنا. وهذا من المتاعب اللذيذة التي لاتبخل علينا بها الأزمان العاصفة.

– الشعب ينطفيء حين لا يكف عن التجاوب مع أصوات الأبواق ، فالتدهور هو موت البوق.

– هل أخفقت التجربة المسماة بالإنسان ؟ أخفقت فيما يتعلق بآدم لكنه يبقى هناك سؤال : هل سنملك قدرة إبتكارية تكفي لكي نقوم بدور المجددين وإضافة شيء جديد لتلك الهزيمة ؟ لكن لنبق الآن على خطأ كوننا بشرا ولنتصرف كمهرجين ل(السقوط) ، ولنكن خفيفين بصورة مفزعة !

– كل شعب يعتبر نفسه في لحظة معينة من التاريخ بأنه المختار. وحينها يعطي كل ماهو أفضل وأسوأ.

– لو مضى كل شيء صوب الأحسن لمات غيظاً المسنون والمسعورون الذين هم غير قادرين على الإستفادة من ذلك لكن لحسن حظهم يضمن لهم مجرى التأريخ ، ومنذ البداية ، شيئا مخالفا تماما و يسمح لهم بأن يفطسوا من دون الشعور وحتى بأيّ أثر للحسد.